الفصل الأول

نشأة علم الاجتماع الصناعي وتطوره

نشأة علم الاجتماع الصناعي:

أدت بعض المخترعات التي ظهرت أثناء منتصف القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر إلى تحول وتغير جذري في نمط الحياة الذي كان سائداً في المجتمعات الغربية، وكانت هذه بداية ما عُرف بالثورة الصناعية التي أدت بدورها إلى إحداث نقلة نوعية في أسلوب حياة الإنسان وتمكينه من التحكم في ظروف معيشته، وتطويع البيئة الفيزيقية والموارد الطبيعية لإسعاده والأخذ به إلى المجتمع الحديث أو المجتمع الصناعي Industrial Society، وذلك عبر تطبيق الأسلوب العلمي لتوجيه سلوكه الإداري والاجتماعي والسياسي، ونشاطه الاقتصادي الذي كان معتمداً في الأساس على الزراعة وبأساليب تقليدية، إلى نوع آخر يؤكد على ما يعرف بالقيمة المضافة للسلعة سواءً كانت سلعة زراعية، أم مشتقة من موارد طبيعية أخرى، وتطلّب هذا النوع من التوجه في النشاط الإنتاجي ظُهوَر المصنع الحديث (Factory) بما شَكَّلَهُ من علاقات اجتماعية جديدة ترعى مصالح الأفراد المنتمين إليه سواءً من المُلاَّك أم المستخدمين من المشرفين والموظفين والعمال.

إنَّ بروز المجتمع الصناعي الحديث لم يظهر من فراغ؛ بل كان نتيجة لتطوير العلوم الطبيعية، والإنسانية، والتقنية، وتطويعها لخدمة الإنسان وتمكينه من السير في ركب الصناعة عبر المصانع الإنتاجية والمؤسسات الخدمية العملاقة، ومع تطور الصناعة تطوراً واضحاً في المجتمعات الغربية -وعلى الرغم مما أفرزته من إيجابيات لأفراد تلك المجتمعات- إلا أنها تركت بعضاً من الآثار السلبية التي أضفت بظلالها على حياة الأفراد في تلك المجتمعات الصناعية

خصوصاً في بداية الأمر، فنزوح أعداد كبيرة من سكان الأرياف إلى المدن، واستقرارهم بالقرب من المصانع، وتدني دخل العاملين، وإحساسهم بعدم الانتماء إلى تلك المؤسسات الصناعية، وعدم توافر الأمن الوظيفي لهم والحالة المتردية لظروف سكنهم، وانعدام المميزات من تأمين صحي، وتعليم للأبناء إضافةً إلى تسخير النساء والأطفال للعمل في المصانع لساعات طويلة وبأجور متدنية، كل ذلك أدى إلى نشأة علم الاجتماع الصناعي ليتفاعل مع هذه المعطيات عبر دراسات وبحوث أكاديمية، والوصول عن طريقها إلى أسس تطبيقية على الصناعة والعاملين بالمصانع أملاً في تحقيق ظروف أفضل تخدم الصناعيين والعمال على حد سواء. ونظراً لحداثة هذا العلم فقد عني كثيرٌ من العلماء والمهتمين بشؤون الصناعة بتقديم تعريف لهذا العلم الجديد.

تعريف علم الاجتماع الصناعي:

عّرف تي. لبتن T.Lupton علم الاجتماع الصناعي بأنه (العلم الذي يقوم بدراسة النسق الاجتماعي للمصنع ،إضافةً إلى دراسة العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النسق)[1]، ويعرف ارينهارد بندكس R. Bendix علم الاجتماع الصناعي بأنه (العلم الذي يدرس مؤسسات العمل، وما يقوم فيها من جماعات وما تشتمل عليه من أدوار)[2]، ما معهد العلوم الاجتماعية فيعرفه (بأنه دراسة الوجه البشري للمشكلات الصناعية)[3]، ويتناول اميتاي اتيزيوني A.Etizioni تعريف هذا العلم بأنه (علم اجتماع التنظيم)[4]، Sociology of Organization وحرص أتيزيوني على تأكيد اهتمام الباحثين بدراسة التنظيمات الصناعية،

(1) طلعت إبراهيم لطفي، علم الاجتماع الصناعي، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة التاريخ بدون ص 17.

(2) المصدر السابق.

(3) - J.H.Smith the University Teaching of Social Sciences : Industrial Sociology Unesco. Paris 1996 PP.30-31.

(4) عبدالله محمد عبدالرحمن – علم الاجتماع الصناعي، النشأة والتطورات الحديثة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1999م. ص 17.

openkandil.com

خصوصاً عندما ظهرت كلمة اجتماعيات الصناعة أو علم اجتماع المصنع Facto-ry Sociology مرادفاً لعلم الاجتماع الصناعي Industrial Sociology الذي انتشر بعد ذلك، وأصبح أكثر الاستعمالات شيوعاً في الأوساط الأكاديمية والبحثية التي اهتمت بدراسة هذا العلم من جميع جوانبه، ويأتي كل من ولبرت ميلر Miller W. ووليام فورم W. Form ليُـعَرَّفا علم الاجتماع الصناعي بأنه «العلم الذي يتناول التكّيف الاجتماعي لحياة العُمَّال، ويهتم بدراسة العوامل الاجتماعية، التي توجد في العمل ومؤسساته المختلفة مثل: المصنع، والمكتب، والمستشفى، والمطعم، والمدرسة، والجامعات، والمؤسسات التجارية. ويوضح الباحثان في هذا التعريف طبيعة التوافق الاجتماعي بين الأفراد والجماعات الذين يعملون داخل مؤسسات العمل كافة التي توجد في المجتمع الحديث، كما أنهما شملا بتعريفهما ماهية أنواع مؤسسات العمل إضافة إلى تعريف المصنع أو المؤسسة الصناعية».

ويعرف جيسبرت Gisbert علم الاجتماع الصناعي بأنه (نوع من التطبيق والتحليل السوسيولوجي على واقع مشكلات الصناعة، لا سيما أن هذا العلم يهتم بمجموعة العوامل الاجتماعية والثقافية، كما يهتم بالعلاقات الإنسانية والصناعية، وبالتنظيم الرسمي وغير الرسمي في هذه المؤسسات، وفِرَقِ العمل وأنماطِ الاتصال والتعاون داخل هذه التنظيمات الصناعية، وعلاقتها بالبيئة الخارجية التي تعيش فيها[5] ويأتي تعريف برنارد موتز B.Mottes ليبين أن علم الاجتماع الصناعي هو تطبيق المنهج السوسيولوجي على الصناعة) ويقول عبدالرحمن: «إنه لفهم هذا التعريف يجب أولاً جعل سوسيولوجيا الصناعة سوسيولوجية تطبيقية، والاهتمام عموماً بالمداخل السوسيولوجية في دارسة المشكلات الصناعية، ومن ثمَّ ضرورة تطبيق المناهج السوسيولوجية، وتحديثها عن طريق الاستعانة بالتوجهات العامة للنظرية السوسيولوجية التي من شأنها أن تعزز عمليات الدراسة والتحليل، وأساليب جمع البيانات، وتحليل الحقائق

(5) Gisbert P. Fundamentals of Industrial Sociology . New Delhi . Tast Mc Graw. Hill.Pub . LTD,1972- P 3 .

openkanal.com

الاجتماعية بصورة واقعية ومعرفة التطور التاريخي للمجتمعات الصناعية، وما بعد الصناعة» [6]، ويتضمن قاموس علم الاجتماع (1969) تعريفاً أكاديمياً محضاً لعلم الاجتماع الصناعي، على أنه العلم الذي يطبق النظرية السوسيولوجية ومناهج البحث في دراسة:

أ - التنظيمات الاقتصادية الصناعية والتجارية.

ب - جماعات العمل في الصناعة والمهن الصناعية بوصفها مجالات البحث السوسيولوجي[7]، أما موسوعة علم الاجتماع فتعرف علم الاجتماع الصناعي «بأنه ذلك العلم المعني بدراسة التركيبة الاجتماعية والعلاقات في مواقع العمل وخصوصاً في المؤسسات الصناعية الحديثة، كما يركز على معرفة الفروق في الأدوار الاجتماعية والإدارية للأفراد في تلك المؤسسات، ونشأة الجماعات الرسمية وغير الرسمية فيها والتفاعل بين الصناعة والمجتمع الخارجي عموماً والتداخل فيها[8]» ولعلنا نستخلص مما سبق من تعريفات، تعريفاً يأخذ بجميع الحيثيات والعوامل ذات العلاقة بالعمل الصناعي سواءً داخل المصنع أو المؤسسة أو خارجها، والتي تشكل الأسس العريضة لطبيعة علم الاجتماع الصناعي، وعليه فإن علم الاجتماع الصناعي وفقاً لما نراه (هو ذلك العلم الذي يهتم بظروف وإجراءات تصنيع السلع، سواءً كانت سلعاً تحويلية أو خدمية، ومدى تأثير هذه الظروف والإجراءات على العلاقات بين الأفراد في المصنع أو المؤسسة على مختلف مستوياتهم ومدى درجة رضاهم أو سخطهم عن تلك الظروف والإجراءات وتأثيرها خارج المصنع أو المؤسسة، الأمر الذي يتحدد معه قدرة المنشأة على الصمود والمنافسة في السوق، والقدرة على الاستمرار والبقاء في مواجهة الصعوبات والتحديات والأزمات التي تعترض العمل الصناعي من وقت لآخر).

(6) عبدالله محمد عبدالرحمن، مصدر سابق، ص 22.

(7) اعتماد محمود علام، علم الاجتماع الصناعي، التطور والمجالات، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو المصرية 1998م ص. 18

(8) - Encyclopedia of Sociology, The Dushkin Publications Group Inc. Graildford Connection 1974 p.137

obeikandl.com

لقد اشتمل التعريف الذي أوردناه على العناصر والعوامل ذات العلاقة الأساسية بعلم الاجتماع الصناعي ونفصلها كما يلي:

1) **الظروف والإجراءات:** – وتعني الظروف مجموعة العوامل الفيزيقية والبيئية الموجودة داخل المصنع أو المؤسسة، مثل: درجة حرارة غير مناسبة، وعدم توافر الإنارة المطلوبة لتمكين العاملين من إنجاز أعمالهم على المستوى المطلوب إضافة إلى أهمية الحيز المكاني المتاح للعامل الواحد في المصنع، وتجدر الإشارة إلى أنَّ بعض هذه الظروف بالإضافةً إلى تأثيرها على الأفراد فإن لها تأثيرها أيضاً على المعدات والآلات كالحرارة المرتفعة والبرودة الشديدة، أو ارتفاع مستوى الرطوبة والأتربة التي قد تكون سبباً في التأثير على دقة عمل الآلات.

أما الإجراءات فتتضمن العلاقات الصناعية، وما تشتمل عليه من مبادرات إنسانية تأخذ بعين الاعتبار أهمية شعور العاملين بالانتماء إلى المنشأة، وذلك عبر ما توفره للعاملين من حوافز ودعم وتشجيع على المستويين المادي والمعنوي.

2) **العلاقات بين الأفراد على مختلف مستوياتهم:** – تعني العلاقات بين الأفراد ذلك التسلسل من الاتصال المتبع في المؤسسات الصناعية والخدمية، والمتمثل بالمديرين في قمة الهرم الإداري يليهم نوابُ المديرين ثم المديرون التنفيذيون ثم المشرفون ثم مختلف الموظفين والعمال، كما يجب الاهتمام بطبيعة هذه العلاقات وتأثيرها خارج المنشأة، كعلاقتها بالعملاء ومدى رضاهم عن المنتج وعلاقتها بالموردين الذين تعتمد عليهم المؤسسة الصناعية في الحصول على المواد المطلوبة لاستمرار الإنتاج، ويتفق تعريفنا هذا مع ما أورده ج باسكوال G.Pascual [9] في نموذجه الذي يوضح تشابك تلك المتغيرات، وتلك العلاقات التي ذكرناها في التعريف وهي كما يلي:

(9) - Gisbert P. Fundamentals of Industrial Sociology . New Delhi . Tast Mc Graw. Hill.Pub . LTD,1972- P.7 .

openkanal.com

الشكل رقم (1)

العلاقات الاجتماعية في الصناعة

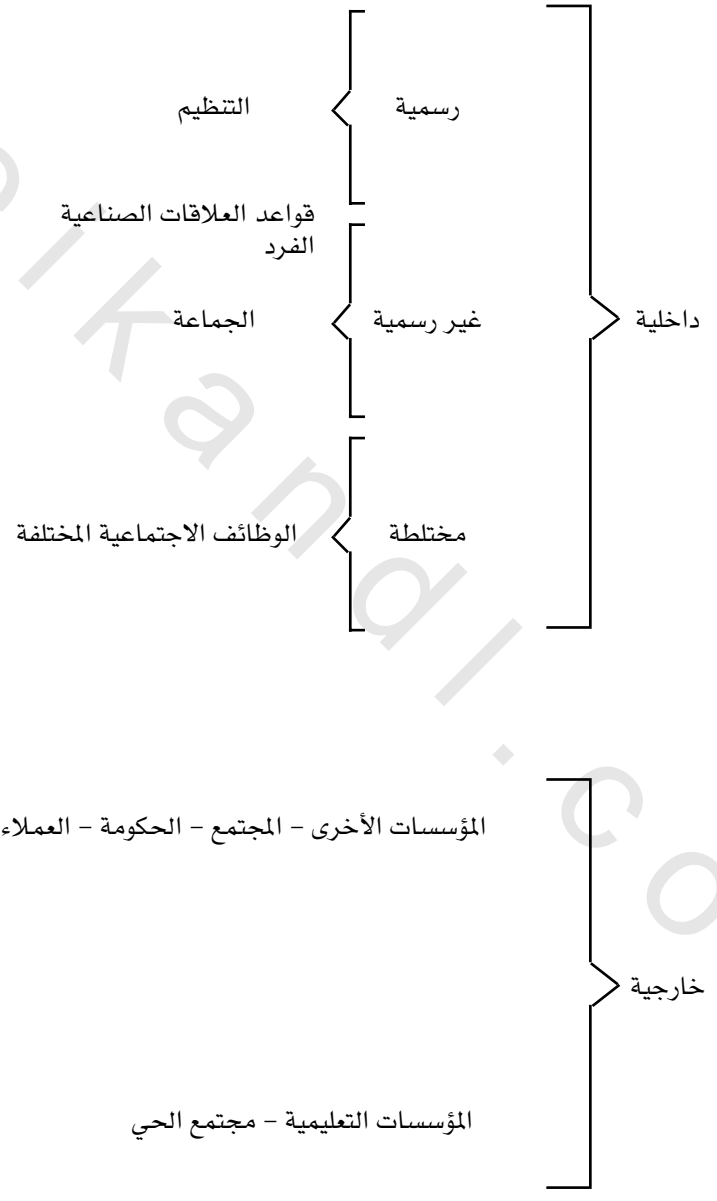

obeikandl.com

نشأة علم الاجتماع الصناعي وتطوره: على الرغم من أن علم الاجتماع الصناعي علم حديث نسبياً بالمقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى، وحيث إن اكتشافه كان فجأة وبطريق الصدفة شأنه في ذلك شأن كثيرٍ من الاكتشافات، إلا أنه يمكن القول إن بداية الاهتمام به كان نتيجة غير مباشرة وغير متوقعه لتجارب أجريت في المجال الصناعي، كانت تهدف إلى اختبار بعض الدراسات النظرية الكلاسيكية للكفاية الإنتاجية للعامل إلا أن البداية الحقيقية لهذا العلم قد سبقت هذه الدراسات بعدد من المراحل، ويمكن تقسيمها وتتبعها عبر ما يلي:

- **المرحلة الأولى: 1800 -1750م**

كان لوجود عدد من الأفكار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفلسفية التي طرحها عدد من العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين كونوا في مجموعهم تيارين متناقضين:

التيار الأول: ويتكون من أولئك المفكرين والفلاسفة الذين يرون في الصناعة أساساً لتطور المجتمع وازدهاره اقتصادياً؛ لتحقيقه رفاهية العيش وارتفاع لمستوى معيشة الفرد.

التيار الثاني: فيتكون من أولئك الذين يرون أن الصناعة قد أحدثت خللاً في التركيبة الاجتماعية وَتغُّيراً في البناء الطبقي والعلاقات التقليدية في المجتمعات وظهور طبقة عمالية محبطة مغلوب على أمرها، ولا يمكنها الحصول على أي مكاسب من أصحاب رؤوس الأموال والمُلاَّك للمؤسسات والمنشآت الصناعية.

ويمثل التيار الأول أتباع مدرسة شارلز دارون C. Darwin الذين يرون حتمية التنافس والصراع والبقاء للأصلح والأقوى أساساً لاستمرار الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ويؤكد كثيرون من أتباع هذه المدرسة أن ما أحدثته الصناعة من اختلافات في الطبقات الاجتماعية أمر طبيعي، ويجب التسليم به خاصة أنها أحدثت

أنواعاً مختلفة من عدم المساواة بين الأفراد والجماعات والطبقات، كما أنهم يرون أن مبدأ التفاوت في الأرزاق ودخل الأفراد أمرٌ لا يمكن الجدلُ فيه ويجب القبول به، وعلى الطبقات العمالية الضعيفة العمل والكد من أجل بقائها وتحسين مستوى معيشتها. كما أن القرآن الكريم يوضح حتمية هذا المنظور حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾[10] وقوله تعالى: ﴿**رَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[11].

ولقد أثرت أفكار هذه المدرسة في العديد من مفكري علم الاجتماع من ذوي النزعة الرأسمالية من البريطانيين والفرنسيين أمثال هربرت سبنسر H. Spenser وتشارلز دونيه C. Dauwneau، كما أثرت على كثيرين غيرهم، ممن أشادوا بأهمية الصناعة على الرغم مما يعرفونه عنها من مساوئ في إحداث الفروقات بين الطبقات الاجتماعية والصراع بينها والخلل الذي جاء نتيجة لتغير الأنماط والعلاقات والأدوار الاجتماعية داخل المجتمع والأسرة، وجاءت هذه الأفكار لتؤكد أهمية الصناعة في التطور والإصلاح والأخذ بالمجتمعات إلى الحداثة والتنمية والتطور، ويأتي آدم سمث A. Smith ليؤكد في كتابه (ثروة الأمم) أوضح فيه ملامح المجتمع الصناعي الغربي الذي يعدّ امتداداً وتأكيداً لأفكار رواد هذه المدرسة.

وعلى العكس من أفكار أصحاب التيار السابق، يوجد عدد من المفكرين ممن يرون أن الصناعة قد أثرت من الناحية السلبية أكثر من تأثيرها من الناحية الإيجابية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات، ويمثل هذا التيار أصحاب المدرسة

(10) سورة النحل آية 71
(11) سورة الجاثية آية 16

obeikandi.com

الاشتراكية الفرنسية من أمثال سيسموندي sesmondi، وسان سيمون S. Saymon اللذين فندا مساوئ الرأسمالية التي تتخذ من الصناعة أساساً لازدهارها، وما خلفته من انقسام بين البشر ونشأة الطبقات الاجتماعية وما نشأ عنها من صراع ونزاع بين الطبقات، الأمر الذي يوجبُ على الدول ضرورة استبدال النظم الرأسمالية بنظم اشتراكية تأخذ بالمجتمعات إلى بَسْط روح التعاون والتكامل بدلاً من التنافس والتناحر.

- المرحلة الثانية: - 1800-1850م

تستمدُّ هذه المرحلة من تطور علم الاجتماع الصناعي من آراء المفكر الفرنسي الاشتراكي سان سيمون S. Saymon، ومما دونه في كتابه «النظام الصناعي» The Industrial System أساساً لانتشار الأفكار التي ترى ضرورة تحسين أحوال العمال والدعوة إلى مشاركة أصحاب رؤوس الأموال بالأرباح، وقد أكد سيمون على أهمية وجود نظرة فاحصة لأحوال العمال واتخاذ الخطوات اللازمة كي لا تسوء أحوالهم مستقبلاً بصورة أكثر مما هي عليه، علماً بأن سيمون لا يرفض مبدأ التصنيع ولكنه يرى أهمية تحسين أحوال العاملين عبر إيجاد نظم بديلة للحياة الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها الطبقات العمالية، ولا سيما أنها كانت مستغلة لدرجة كبيرة من جانب أرباب العمل وأصحاب رؤوس الأموال، إضافة إلى سوء التنظيم والظروف السيئة التي كانوا يعيشونها في المناطق الصناعية، ويؤكد ذلك بيرجل E. Bergel بقوله: «كان العمال يعانون من الأمراض والوفاة والرذيلة والجريمة والفساد السياسي ومشكلة الأحياء المزدحمة والفقيرة»[12]، ولقد كان لهذه الأفكار أثر في ظهور الماركسية أو النظرية الشيوعية التي وظفت جل همها

(12) E.E. Bergel . Urban Sociology N.y. Mc Graw-Hill Book Co. 1955

obeikandl.com

لدراسة أوضاع الطبقات الكادحة لا سيما وأن ظهور كتاب «رأس المال» The Capital لكل من كارل ماركس وزميله إنجلز وما كانا يدعوان إليه من إلغاء للملكية، ودعوتهما بعد ذلك إلى أهمية وجود مجتمع اشتراكي ظهر فيما بعد في الاتحاد السوفيتي سابقاً بواسطة لينين قائد الثورة البلشفية عام 1917م.

- **المرحلة الثالثة: 1850-1900م**

في هذه المدة أخذ الاهتمامُ من جانب المفكرين والاجتماعيين يتزايد بدراسة آثار الصناعة ومشكلات التصنيع وعمليات التحول والتغير الاجتماعي والثقافي الذي حدث لطبيعة البناء الاجتماعي، الذي تأثرت به أيضاً العلاقات الاجتماعية والأدوار التي يقوم بها الأفراد في مختلف الجماعات، ولقد كان أوجست كونت A. Conte من أوائل المهتمين بهذا الجانب ويليه ماكس ويبر M.Webeer وهربرت سبنسر H.Spenser وأميل دوكايم E . Dwekhiem وآخرون أخذوا على عاتقهم الاهتمام بدراسة الصناعة وآثارها المتعددة، ولعل أكثر هذه الدراسات تعميماً ما قام به كونت عندما وصف طبيعة المجتمع الصناعي الحديث واختلافه عن المجتمع التقليدي الزراعي. كما أن سبنسر أبدى تصوراته لنوعية الحياة الاقتصادية والسياسية في المجتمع الصناعي الحديث واختلافها عن المجتمعات الزراعية والريفية.

إضافةً إلى ما تقدم ذكره عن الدراسات والاهتمامات بهذا العلم أثناء تلك المرحلة يأتي فردريك لوبلي F. Lepley بدراسته التطبيقية التي نشرت عام 1855م في فرنسة تحت عنوان (العمال الأوربيون)، كما نُشِر كتابٌ جديد متخصص بعنوان (الإصلاح الاجتماعي في فرنسة)، حيث ورد فيه العديد من المقترحات لإصلاح أحوال

الطبقات العمالية، وتأتي أهمية هذه الدراسة لكونها دراسة تتبعية استمرت عشرين عاماً لجمع المعلومات والبيانات عن آلاف العمال والأسر الأوروبية العاملة بالصناعة، وقدم تحليلاً للعديد من المتغيرات في هذه الدراسة مثل مصادر الدخل، والإنفاق، ونظم المعيشة. ويأتي تشانر بوت C. Booth بدراسته التي لا تقل أهمية عن سابقاتها، التي ظهرت في بريطانية، حيث حاول بوث دراسة العلاقة بين الصناعة والنظم الاجتماعية الأخرى، وقد كانت دراسته ذات طابع تطبيقي اعتمد فيها على العلاقة القائمة بين الصناعة والمجتمع، وقد توصل عبرها إلى نتائج مهمة عن أحوال العمال والطبقات العمالية وأسرها، والآثار التي خلفتها الصناعة على الأنساق والنظم الاجتماعية، وزيادة أعداد المهاجرين، ونمو معدلات الجريمة وانحراف السلوك وتغير أنماط الأعراف والعادات والقيم، كما شملت الدراسة الأحياء السكنية للطبقات المالكة في لندن وكيف تحول عديدٌ منها لمساكن للعمال.

- **المرحلة الرابعة: 1900-1950م**

تُعَدَّ هذه المرحلة من أهم مراحل تطور علم الاجتماع الصناعي حيث أخذ الباحثون أثناءها بالاهتمام بالدراسات الميدانية لمواقع الصناعة وآثارها على العاملين، وقد تعددت البحوث في هذه المرحلة من نشأة هذا العلم، حيث كانت أولى هذه الدراسات تلك الدراسة التي قام بها العالم الألماني ماكس ويبر M. Weber وذلك في العقد الأول من القرن العشرين 1905-1910م، حيث أجرى دراسته التطبيقية على عمال صناعة النسيج والكتان في ألمانية، وقد حَدَّد عدداً من الأسباب المتغيرة لدراسته مثل الإدارة وتباطؤ العمل وقلة الإنتاج وطبيعة البيئة الفيزيقية للعاملين مثل: الإضاءة والتهوية والرطوبة

والبرودة إضافةً إلى علاقة العمال بمشرفيهم، وتأتي بعد ذلك دراسة بول كيلوج P. Kellogg عن عمال الصلب في مدينة بتسبرج Pittisbrig في الولايات المتحدة الأمريكية التي نشرت سنة 1914م، وقد ركزت هذه الدراسة على أحوال طبقة العمال ليس داخل المصنع فقط ولكن في المجتمع الخارجي وداخل أسرهم، وقد أخذ في الاعتبار أيضاً تحليل الأحوال الفيزيقية لمواقع العمل، والإصابات الناتجة عن عدم وجود عوامل السلامة الضرورية أو إهمالها، كما ركز على ظروف العمال المعيشية والترفيهية، كما تطرقت الدراسة إلى تأثير الصناعة على الحياة في المدينة والتغير الاجتماعي والثقافي والتخلف الحضري، كما قدم ماكس ويبر M.Weber في دراسته العديد من المقترحات الهادفة إلى تحسين مستوى المحيط الصناعي داخل المصنع وفي المدن الصناعية، والرفع من مستوى المعيشة للطبقات العمالية وتحسين مستوى العلاقات الإنسانية في الصناعة على وجه العموم.

وتُعَدَّ دراسات التون مايو وزملائه E. Mayo على مصنع هاوثرون في الولايات المتحدة الأمريكية في المدة من 1927-1932م من الدراسات التي رسمت النهج للدراسات التطبيقية في مجالات الصناعة، وأعطت دفعة جديدة لتطور علم الاجتماع الصناعي حيث لفتت انتباه عديدٍ من علماء الاجتماع وعلماء النفس إلى أهمية هذا الجانب من الدراسات، التي ركزت في المقام الأول على العوامل والظروف الداخلية والخارجية داخل المصانع، آخذةً بعين الاعتبار العلاقات الرسمية وغير الرسمية في مجالات العمل داخل المؤسسات الصناعية، كما أنها أعطت أهمية للعوامل الفيزيقية وأحوال العمال والعمل والإنتاج، وقد أقيمت هذه

الدراسة في مدينة شيكاغو حيث توجد مصانع هاوثرون التابعة لشركة ويسترن إلكتريك ذات الريادة في مجال الصناعة، ومما أعطى أهمية لهذه الدراسة استعانة مايو وزملائه عبر دراستهم بعلماء يُعَدَّون رواداً لعلم الاجتماع الصناعي في كل من جامعتي شيكاغو وهارفورد، الذين أسهموا بدورهم في وضع الأسس الأكاديمية لهذا العلم الجديد.

ولم يتوقف مايو عند ذلك الحد؛ بل جاءت أبحاثه في عامي 1943-1944م على شكل دراسات ميدانية على مصانع الصناعات المعدنية حيث قام بتحليل مشكلات العمال بها، كما قام بدراسة مصانع الطائرات في جنوب كاليفورنية عام 1944م، وركز في هذه الدراسة على عدد من جوانب العمل وقضاياه مثل التغيب، وتسرب العمال، والعلاقات بين الجماعات الصغيرة غير الرسمية في المصانع وعلاقة هذه الجماعات بالجماعات الرسمية والتنظيم الصناعي.

أما لويد وارنر L. Warner فقد قام بدراسته في المدة بين 1943-1945م، وقد كان من أهم محاورها دراسة العلاقات الإنسانية في الصناعة في مدينة اليانكي ستي Yankey City التي شملت عمال مصانع ويستيرن إلكتريك ومصانع الأحذية، مع تركيزه على العلاقة بين المصنع والنظم الاجتماعية الخارجية.

أما عن الروح المعنوية للعمال في المصانع فقد كانت من اهتمام علماء النفس الاجتماعيين أمثال: اليوت شابل E.Shapel وكونراد ارتزبرج K. Artezberg ودوجلاس مالجروجز D.McGgragers ومورينو Morino حيث حاولوا في دراستهم تحليل العلاقات بين العمال وتفاعلهم في محيط العمل الصناعي والإدارة المهنية للعاملين في المصانع على مختلف مستوياتهم.

أما أستاذ علم الاجتماع بجامعة ييل Yale وايت بابيك W.Bakke فقد جاءت دراسته عن مشكلات العمال العاطلين عن العمل في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانية؛ لتعزز أهمية النواحي التطبيقية في ميدان علم الاجتماع الصناعي، هذا إضافةً إلى ما قدمه كيرك ليفن K. Leuvin في الولايات المتحدة من دراسات على ديناميكية العلاقة بين جماعات الصناعة وتطبيقها على العمال في مصانع شركة هاروود.

ولقد أحدثت هذه الدراسات اهتماماً من جانب الجامعات في الولايات المتحدة، حيث إنشأت جامعة ميتشجن معهداً للبحوث الصناعية والاجتماعية الذي أسسه العالم الشهير ليكيرت Likert، وقد ركز هذا المعهد على مناهج البحث الاجتماعي مثل المنهج التجريبي والمسح الاجتماعي وتطبيقاته، كما أنشأت جامعة ماستيتوشس المعهد التقني الذي كان جل اهتمامه بالدراسات الصناعية وتأثير التكنولوجيا على جودة المنتج واستثمار رأس المال في المجال الصناعي.

كما جاءت في هذه المرحلة من تطور هذا العلم عديدٌ من الدراسات التطبيقية في كل من ألمانية، وفرنسة، وإيطالية خاصة بعد أن رأت الجامعات ضرورة أن يكون لها دور في هذا المجال الواسع من تعقيد للعلاقات بين العمال، والصناعة، والمحيط الاجتماعي الخارجي.

- المرحلة الخامسة: 1950 - 2000م

كان من نتائج الدراسات الميدانية والتطبيقية التي سبق ذكرها في المراحل السابقة تزايدُ الاهتمام بالنواحي التطبيقية لواقع الصناعة والإنتاج والعمال من زوايا مختلفة، ومتغيرات متعددة مما أسهم في إرساء قواعد هذا العلم من الناحية الأكاديمية، ولم يكن هذا

الاهتمام بهذا العلم في المجتمع الغربي فقط؛ بل نجد أن دولاً عديدة ممن بدأت تأخذ بالصناعة مثل اليابان، وكورية، والأرجنتين، والدول الأوروبية الشرقية، والهند، وعديدٍ من الدول النامية، قد أخذت تتجه في جامعاتها إلى تدريس علم الاجتماع الصناعي ومناهجه. ومما زاد من الاهتمام بهذا العلم ما طرأ من تغير أنماط الصناعة، وطرق الإنتاج، وتطور التقنية، وتبني أسلوب الإدارة الحديثة، والتوزيع، والدعاية، والتسويق، وتوظيف رؤوس الأموال في النواحي الصناعية بصفة لم يسبق لها مثيل، إضافة إلى ظهور الشركات المتعددة الجنسيات، المنتشرة في العالم في العقود الأخيرة من القرن العشرين التي يعرفها دينج Dunning، الذي يُعَدَّ من أكثر علماء الاقتصاد اهتماماً بدراسة هذه الشركات بأنها «الشركات التي تمتلك، وتسيطر، وتقوم بالإنتاج في كثير من المجالات مثل الصناعة والمناجم، وتكرير البترول، والتوزيع والخدمات، والمكاتب، وغيرها في أكثر من دولة واحدة، كما أن هذه الشركات تتميز بإنتاج هذه الأشياء في البلد أو الدولة الأم والدول الخارجية، كما أنها تُمْتَلَكُ وتُدَارُ بواسطة أكثر من فرد أو دولة عن طريق شركات المسهمين»(13).

أهمية علم الاجتماع الصناعي لطلاب الجامعات:

تشهد دول منطقة الخليج بصفة عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة أهمية بالغة لتنويع مصادر الدخل، وعدم الاعتماد على النفط بوصفه مصدراً وحيداً لواردات ميزانية هذه الدول؛ ولذلك فإن المملكة العربية السعودية قد اعتمدت منذ أكثر من ستة عقود مضت إستراتيجية صناعية تتنوع عبرها مصادر الدخل عن طريق انطلاقة التصنيع في مفهومه العام بمؤسساته

(13) عبدالله محمد عبدالرحمن -مصدر سابق- ص 189.

الصناعية والخدمية، إضافة إلى هذا التوجه المهم إلى التنويع في مصادر الدخل فإن المملكة تُعَدَّ من التركيبة السكانية بلداً فتياً، حيث إن أكثر من 70% من سكانها والبالغ عددهم أكثر من 19 مليون نسمة هم من فئة الشباب، ولذلك فلا بد من أن مناهج التخصصات المختلفة تشتمل على مادة علم الاجتماع الصناعي والإنتاج، وذلك لتعريف الطلاب على ما يجري في واقع العمل الصناعي قبل تخرجهم والتحاقهم بالحياة العملية، كما يتوجب توفير فرص العمل لهم من ناحية أخرى، ولذلك فإن المخططين في المملكة وجدوا أن الصناعة بلا شك منطلق إستراتيجي بالغ الأهمية في تحقيق الأهداف الآتية:

الأول: استغلال الموارد الطبيعية.

الثاني: تنويع مصادر الدخل.

الثالث: إيجاد الفرص الوظيفية للشباب.

الرابع: رفع من مستوى معيشة الأفراد في المجتمع.

الخامس: توزيع عادل للثروة.

ولعل هذا التوجه وإنشاء المصانع والمدن الصناعية المختلفة والمتعددة في شتى أرجاء المملكة، وكذلك وجود مدينتين صناعيتين عملاقتين في كل من الجبيل وينبع، وما صاحب هذا الاهتمام بجانب التصنيع من آثار على البنية الأساسية للعلاقات الاجتماعية والتغير الاجتماعي الثقافي، وما صاحب هذا من تغير أنماط السلوك الاجتماعي للأفراد والأسر والجماعات، إضافة إلى تأثير هذا التوجه في هجرة الأفراد من القرى والأرياف إلى المدن بحثاً عن الفرص الوظيفية التي توفرها الصناعة في تلك المناطق، وتغير نمط الحياة الذي كان سائداً لدى هؤلاء الأفراد قبل التوجه لطلب الرزق في المدن والمناطق الصناعية من تقاليد وأعراف وعادات كان لا بد من نبذها، وتركها، واكتساب عادات وسلوكيات أخرى تتلاءم مع ما تطلبه ثقافة الصناعة، كل هذه العوامل تجعل من

obeikandl.com

وجود علم خاص بدراسة شؤون الصناعة وآثارها على البيئة من ناحية وعلى المتقدمين للعمل الصناعي من ناحية أخرى، تجعل من الضروري الاهتمام بعلم الاجتماع الصناعي في جامعات المملكة ودول الخليج العربية وذلك لعدد من الأسباب نذكر منها:

1. دراسة تأثير الصناعة في المجتمع السعودي عبر بحوث ميدانية ودراسات مسحية.
2. توجيه التعليم والمناهج التعليمية إلى ما يخدم متطلبات الصناعة.
3. دراسة التحول الثقافي الاجتماعي في المملكة نتيجة للتوجه نحو التصنيع.
4. أهمية الدراسات الميدانية، والتقنية، والتعرف على مشكلات العمل الصناعي على المستويات جميعها سواء داخل المصانع أم خارجها.
5. أهمية معرفة طلاب الجامعات -الذين سيتوجهون للعمل بعد التخرج- لطبيعة الصناعة والتكيف مع متطلباتها.
6. أهمية التعريف بالعلاقات الصناعية، والعمل على تفادي ما وقع به الآخرون من مشكلات أثناء مسيرتهم نحو التصنيع.

وبناءً على ذلك فإن هذا العلم بميادينه، ومناهجه، بدأ يشكل جزءاً أساسياً في جامعات العالم بصفة عامة والعالم العربي في الآونة الأخيرة بصفة خاصة، ولذلك فإن وجود هذا التخصص في جامعات المملكة ودول الخليج العربية -لا شك بأنه- أمر مطلوب إذا ما أردنا دراسة مشكلات التصنيع والإفادة من الأخطاء التي وقعت بها الدول الأخرى، كما أن وجود معاهد متخصصة في الجامعات السعودية لعمل الدراسات الميدانية والتطبيقية له مردود إيجابي على مسيرة التصنيع والعمل على مواجهة مشكلاته وإيجاد حلول لها على نحوٍ فعّال ومنظم، خاصة أنه يوجد في المملكة العربية السعودية ما يقارب أربع آلاف مؤسسة صناعية، وهي بازدياد مطرد الأمر الذي يتطلب أجراء البحوث على

تأثير هذا التوجه نحو التصنيع على مختلف المستويات الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية، إن وجود علم الاجتماع الصناعي في جامعات المملكة وفي هذه المرحلة من بدايات التصنيع له أثر بالغ الأهمية في التخطيط السليم لكل ما له علاقة بالصناعة في المملكة، من هجرة من الأرياف والقرى إلى المدن، وإلى أهمية التأكيد على توجيه المناهج الدراسية في مختلف المراحل مع ما يخدم الصناعة ويبرز أهمية العمل اليدوي بين شباب المجتمع، إضافةً إلى ذلك فإن وجود هذا العلم سيتيح الفرصة لتقليل الآثار السلبية للتصنيع على البيئة الاجتماعية، وما قد تخلفه الصناعة من آثار سلبية على حياة الأفراد في المناطق الصناعية مثل: انتشار البطالة من جراء الهجرة غير المنظمة، وتأثير الصناعة على تلوث البيئة، ووجود العمالة الأجنبية ومنافستها للعمالة السعودية في ميدان الصناعة، وإستراتيجية السعودة التي تتبناها الدولة لإحلال العمالة الوطنية بدلاً من العمالة الوافدة في مختلف المؤسسات الصناعية.

obeikandl.com